دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أنماط الجملة الإعرابية في القرآن الكريم دراسة في التركيب النحوي لسورة النساء
المؤلف الرئيسي:	حسين، دفع االله حمد االله
مؤلفين آخرين:	بابكر، أحمد خالد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2002
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 451
رقم MD:	662489
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
الكلية:	كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، إعراب القرآن، النحو العربي، التراكيب النحوية، السور و الآيات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/662489

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

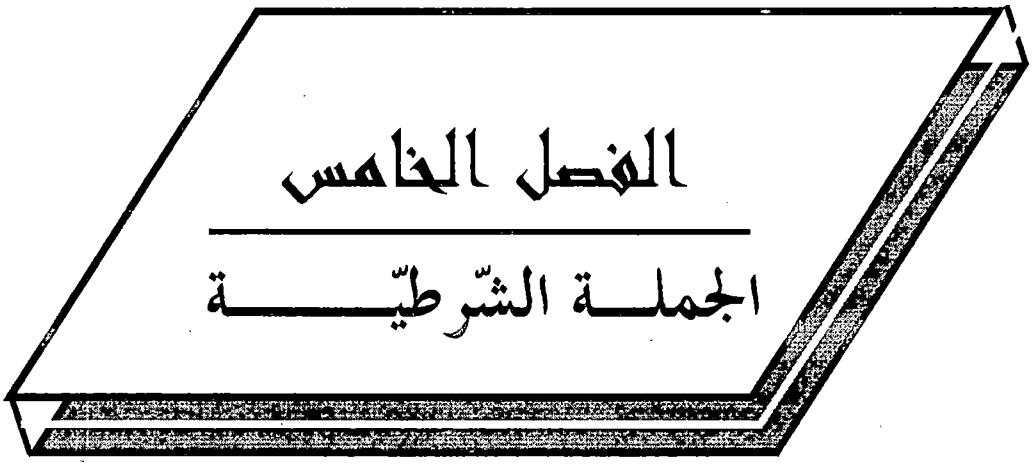
الفصل الخامس
الجملة الشّرطيّة

محتويات الفصل الخامس (٢١٧ ـ ٢٥٩)

- توطئـــــة
- المبحث الأوّل: مفهوم الشّرط وحقيقته
- المبحث الثّاني: الجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة
- المبحث الثّالث: الجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة
- المبحث الرّابع: صور من قضايا الجملة الشّرطيّة

تمهيـــــد

مضى الحديث في الفصل الرّابع، فكـــان عـــن الجملـــة الإنشـــائيّة.. واستقصى فيه الباحث هذه الجملة بقسميها: الطّلبيّ وغير الطّلبيّ، من خـــلال الأنواع المندرجة تحت كلّ قسم منهما.

وفي هذا الفصل، وهو الخامس، يتناول الباحث الجملة الشّرطيّة؛ يبيّـــن مفهومها وأنواعها وأهمّ القضايا المتّصلة بها. وسيكون هـــذا التّنـــاول علـــى النّحو الآتي:

- **المبحث الأوّل:** مفهوم الشّرط وحقيقته
- **المبحث الثّاني:** الجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة
- **المبحث الثّالث:** الجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة
- **المبحث الرّابع:** صور من قضايا الجملة الشّرطيّة

ويتبع هذا مناقشة كل مبحث في عدد من المطالب؛ والّتي مـــن شأنها أن تمكّن من إجلاء الفكرة العامّة عن الجملة الشّرطيّة؛ فالبـــاحث يقدّمها هنا كضَرْب قائم برأسه لا هي تحت الجملة الاسميّة، ولا تحـــت الجملة الفعليّة؛ وقد بيّن الباحث دواعي ذلك في الفصل الأوّل من هـــذه الدّراسة.

ويلي كلّ هذا النّظر في السّياق النّحويّ لسورة النّساء، للتّعـــرف على إمكانيّة وفاء النّصّ القرآنيّ بمتطلّبات هذه الجملة، إلـــى جـــانب القضايا المتعلّقة بها.

المبحث الأوّل

مفهوم الشّرط وحقيقته

تناول النّحاة – قديماً وحديثاً – الشّرط من حيث المفهوم والحقيقة، وتعرّضوا لأدواته وأنواع جملته، وسوف يتولّى الباحث بيان ذلك من خلال المطالب الآتية:

○ المطلب الأوّل: معنى الشّرط:

تناول سيبويه الشّرط في باب خاصّ، أطلق عليه اسم "باب الجزاء"؛ وهذا يُفْهِمُ أنّ الشّرط والجزاء بمعنى واحد. ثمّ أخذ يقول في بدايته: "فما يجازى به من الأسماء غير الظّروف: مَنْ وما وأيُّهُمْ. وما يجازى به من الظّروف أيّ حين ومتى وأين وأنّى وحيثما، ومِنْ غيرها إنْ وإذا ما"(١).

ويرى الباحث أنّ سيبويه اكتفى ببيان معنى الشّرط، بإطلاق مسمّى آخر عليه، وهو "باب الجزاء"؛ ثمّ أخذ يعدّد الأدوات الّتي يجازى بها الشّرط.

أمّا المبرّد؛ فقد نفذ إلى كَبِد الحقيقة؛ إذ عرّف معنى الشّرط بقوله: "ومعنى الشّرط وقوع الشّيء لوقوع غيره"(٢).

ويعدّ هذا التّعريف من أوجز التّعريفات الّتي تناولت مفهوم الشّرط، ومع ذلك، فقد وُفّق المبرّد فيه من توضيح معنى التّعليق إذ هو الأصل في التّركيب الشّرطيّ. لأنّ الشّرط -في الأصل- هو تعليق أمر بأمر آخر، يُوجد بوجوده وينتفي بانتفائه.

وهذا التّعلّق يبدو واضحاً في مقالة لابن هشام وهو قوله: "الشّرطيّة أعني عقد السّببيّة والمسبّبيّة بين الجملتين بعدها"(٣).

---

(١) الكتاب: ٥٦/٣

(٢) المقتضب: ٤٦/٢، وانظر اللّمع: ٢١٣، والجمل: ٢١١، المفصّل: ٢٥٢، ٣٢٠.

(٣) مغني اللّبيب: ٢٨٣/١

ويقرّر الباحث هنا، أنّ ابن هشام إنّما يرمي إلى بيان العلاقة السّببيّة بين فعل الشّرط وجوابه، وهذا ما تولّى بيانه ابن السّرّاج بقوله: "فإذا أرادوا أن يجعلوا الفعل سبباً للثّاني جاءوا به في الجزاء، وفيما ضارعَ الجزاء"(١).

وتكلّم الجرجانيّ عن حقيقة الجملة الشّرطيّة، فقال: "وَوِزانُ هذا أنّ الشّرط والجزاء جملتان ولكنّا نقول إنّ حكمهما حكم جملة واحدة من حيث دَخَل في الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى حتّى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل به الفائدة"(٢).

وأجرى الجرجانيّ مثلاً لبيان ذلك فقال: "فلو قلت: "إنْ تأتني" وسكتّ لم تُفدْ، كما لا تفيد إذا قلت: "زيد" وسكتّ، فلم تذكر اسماً آخر ولا فعلاً ولا كان منويّاً في النّفس معلوماً من دليل الحال"(٣).

وتناول الأمر ذاته -بوجه آخر- في كتابه: "دلائل الإعجاز"، فقال: "واعلم أنّ سبيل الجملتين في هذا، وجعلهما بمنزلة الجملة الواحدة سبيل الجزئين تُعقد منهما الجملة، ثمّ يجعل المجموع خبراً أو صفة أو حالاً، في مجموعة الجملتين لا في إحداهما، وإذا عَمِلْتَ ذلك في الشّرط، فاحتذهِ في العطف، فإنّك تجده مثله سواء"(٤).

وبناء على ما تقدّم؛ فإنّ مفهوم الجملة الشّرطيّة إنّما يقوم على مبدأ التّعلّق؛ فيرتبط الجزاء بالجواب؛ فينشأ بينهما عقد قوامُه السّببيّة والمسبّبية.

---

(١) الأصول في النّحو: ١٨٢/٢

(٢) أسرار البلاغة، الجرجاني، تحقيق هـ- ريتر، دار المسيرة، ط٢، ١٩٧٩م: ٩٨

(٣) المصدر نفسه: ٩٨

(٤) دلائل الإعجاز: ٢٤٦

o المطلب الثّاني: أدوات الشّرط:

عدّد النّحويّون الأدوات الّتي تبنى على أساسها الجملة الشّرطيّة تحت عنوان: "جوازم الفعل المضارع"(١). وهذه التّسمية تتّسع لتشمل أدوات غير الشّرط؛ تدخل معها في وظيفة جزم المضارع. وليتهم قالوا: أدوات الشّرط الجازمة؛ ففي ذلك إقرار ببعض ما لهذه الأدوات من عمل.

وهذه الأدوات، الّتي تعمل في الشّرط، أربعة أنواع(٢):

- ١/ حرف باتّفاق، وهو (إنْ).
- ٢/ حرف على الأصحّ، وهو (إذ ما).
- ٣/ اسم باتّفاق، وهو (مَنْ) و (ما) و (متى)، و (أيّ) و (أين) و (أيّان) و (أنّى) و (حيثما).
- ٤/ واسم على الأصحّ، وهو (مهما).

ويلاحظ الباحث أنّ هذه الأدوات ليس بينها أفعال؛ وإلاّ كيف يكون عملها؛ إذ إنّ جملة الجزاء والجواب كليهما إنّما يقومان في بنائهما على فعل يأتي في صدر كلّ منهما.

ولم تخرج هذه الأدوات البتّة عن الإحصاء الّذي وضعه لها سيبويه، وتابعه فيه المبرّد، إلاّ أنّ الأخير قد صنّف هذه الأدوات إلى: ظروف وأسماء وحروف. إذ يقول: "وهي تدخل للشّرط، ومعنى الشّرط وقوع الشّيء لوقوع غيره، فمن عواملها من الظّروف أين ومتى وأنّى وحيثما، ومن الأسماء مَنْ وما وأيّ ومهما، ومن الحروف الّتي جاءت لمعنى: إنْ وإذ ما"(٣).

---

(١) أوضح المسالك: ٢٠٤

(٢) انظر المصدر نفسه: ٢٠٤-٢٠٥

(٣) المقتضب: ٤٦/٢

وعلّل مجيء هذه الأدوات في الجملة الشّرطيّة؛ بقوله: "وإنّما اشتركَتْ فيها الحروف والظّروف والأسماء لاشتمال هذا المعنى على جميعها"(١).

وأمّا وظيفة هذه الأدوات؛ فقد أبداها الرّمّانيّ(٢) من خلال دخولها على الجملة، فقال: "وأمّا دخولها على الجملة، لِتَعْقِدَهَا بجملة أخرى فنحو قولك: إنْ قدم زيدٌ خرج عمرو على خبرين يُصدّق أحدهما ويُكذّب الآخر، فعَقْدتهما بإنْ عَقْد الخبر الواحد، فصار الصّدق في جملته، أو الكذب، ولا يصحّ أن يُفصل لأنّه خبر واحد لأجل أنّ (إنْ) قد نقلته إلى ذلك"(٣).

ولأدوات الشّرط هذه دلالات وضعت لأجلها(٤). فمنها ما وضع للزّمان ومنها ما وضع للمكان، ومنها المضاف الّذي يصلح للدّلالة على العاقل، وغير العاقل، وتكون للزّمان أو المكان. ومنها ما يختصّ بالأمر المتيقّن منه، أي المرجّح حصوله أو المظنون(٥). ومنها ما وضع لتعليق الجواب على الشّرط مجرّداً من غير دلالة على زمان، أو مكان، أو عاقل، أو غير عاقل بالبيان التّالي:

- ١/ ما وضع للدّلالة على شيء يعقل، وهو (مَنْ)، كقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(٦)
- ٢/ ما وضع للدّلالة على شيء لا يعقل، وهو (ما)، و (مهما): كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾(٧).

---

(١) **المقتضب**: ٤٦/٢

(٢) هو أبو الحسن علي بن عيسى، ويعرف بالأخشيديّ، وبالورّاق، وبالجامع، وهو بالرّمّانيّ أشهر. أخذ عن ابن دريد وابن السّرّاج والزّجّاج. ومن تلاميذه: أبو حيّان التّوحيديّ وأبو القاسم التّنوخيّ. له مؤلّفات عديدة منها: كتاب معاني الحروف. ولد سنة ٢٩٦هـ. وتوفّي سنة ٣٨٤هـ. انظر: **معجم البلدان**: ٦٧/٣، **الفهرس**: ١٧٣، **معجم الأدباء**: ١٩٨/١٨، **إنباه الرّواة**: ٢١٥/٢، **نزهة الألباء**: ٣٧٩

(٣) **معاني الحروف**: ١٦٨

(٤) انظر **النّحو الشّامل**، عبد المنعم سيّد عبد العال، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة: ٢١٣/٣

(٥) **المرجع نفسه**: ٢١٣/٣

(٦) سورة النّساء: الآية (١٢٣)

(٧) سورة البقرة: الآية (١٩٧)

وكقول الشّاعر[١]:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ

وَإِنْ خَالَهَا تُخْفَى عَلَى النّاسِ تُعْلَمِ

- ٣/ ما وضع للزّمان، وهو (متى) و (أيّان)، وكلاهما ظرف جازم. انظر ذلك في قول الشّاعر[٢]:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ

تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدِ[٣]

- ٤/ ما وضع للمكان، وهو (أين) و (حيثما) و (أنّى) كقولك: "حيثما تجد صديقاً وفيّاً، تجد كنزاً نفيساً".
- ٥/ ومنها المضاف الّذي يصلح للأمور الأربعة الّتي سبقت، وهي (أي):
  - فمثالها للعاقل: "أي والد يُحسن تربية أبنائه يسعدْ بهم".
  - ومثالها لغير العاقل: "أي عمل صالح تُمارسْه أُمارسْ".
  - ومثالها للزّمان: "أي ساعةٍ تقمْ من اللّيل أقُمْ".
  - ومثالها للمكان: "أي مكان تتهجّدْ فيه أتهجّدْ".
- ٦/ ما يختصّ بالأمر المتيقّن منه، وهي (إذا) الشّرطيّة، نحو: "إذا تكلّمت فقلْ في إيجاز".
- ٧/ ما وضع لتعليق الجواب على الشّرط مجرّداً، وهو (إنْ) و (إذ ما)، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[٤].

---

(١) البيت لزهير. انظر **شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها**: ٦٢

(٢) البيت للحطيئة، وهو من قصيدة يمدح فيها بغيض بن عامر من قصيدة مطلعها:

آثرت إدلاجي على ليل حرّةٍ * هضيم الحشا حُسّانةِ المتجرّد

انظر **شرح ابن عقيل**: ٣٦٥/٢، وانظر **جامع الدّروس العربيّة**: ١٣٠/٢، وقد نسب للأعشى

(٣) تعشو: تجيئه على غير هداية، خير موقد: يريد كثرة إكرامهم للضّيفان

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٨٤)

◎ المطلب الثّالث: أنواع الجملة الشّرطيّة:

يكاد النّحاة في العصر الحديث يجمعون على أنّ الجملة الشّرطيّة تركيب نحويّ، يقوم على جملتين هما: جملة الشّرط وجملة الجواب، تربط بينهما أداة الشّرط، ويتعلّق وجود الثّانية على وجود الأولى. وتؤلّفان معاً جملة واحدة تؤدّي فكرة واحدة، كأنّ الأولى سبب الثّانية فلا يقبلان الانشطار(١).

فليت هذا الفهم للجملة الشّرطيّة كان قائماً أيّام تقعيد النّحو العربيّ.

هذا الفهم، وإنْ كان يجنح إلى الشّرح منه إلى التّعريف؛ إلاّ أنّه قد صرّح بالجملة الشّرطيّة؛ ذلك لأنّ النّحاة، فيما سبق "لم يبحثوا الجملة الشّرطيّة كأسلوب قائم برأسه، متنوّع الأنماط، مختلف الدّلالات بل تناولوها ضمن مباحث جزم المضارع، فاقتصروا في بحثهم لها على بحث العامل"(٢) فقط، دون التّطرّق لتركيب الجملة الشّرطيّة.

ودرسوها أيضاً ضمن جوازم الفعل المضارع تحت مسمّى "أدوات الشّرط الجازمة"؛ بينما هنالك جُمل شرطيّة لا علاقة لها بالفعل المضارع، ولا علاقة لها بالجزم أصلاً، كتراكيب أدوات الشّرط غير الجازمة.

وبناء على درسهم لهذه الأدوات، قسّموا الجملة الشّرطيّة وفق الأدوات الّتي تعمل فيها. فبدا لهم تقسيمها على النّحو الآتي:

- أدوات الشّرط الجازمة.
- أدوات الشّرط غير الجازمة.

ويرى الباحث أنّ التّقسيم هذا، باعتبار الأدوات، لا يساعد في النّظر إلى بِنْيَة الجملة الشّرطيّة؛ إنّما يَنْصَبُّ في ملاحظة أثر العامل في الجملة. ولهذا عَمِدَ الباحث إلى تقسيم جملة الشّرط بناء على تركيبها النّحويّ الّذي يُراعى التّرتيب، وهي بناء على هذا التّقسيم، تقع في قسمين:

---

(١) **علم اللّغة بين التّراث والمناهج الحديثة** د. محمود فهمي حجازيّ، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠م: ٦٩

(٢) **المرجع نفسه**: ٦٩.

- الجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة.

- الجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة.

وهذا التّقسيم من شأنه أن يساعد في استيعاب التّغيرات الّتي قد تطـــرأ على الجملة الشّرطيّة، كتوالي شرطين في الجملة الواحدة، واجتماع الشّـــرط والقسم، واجتماع الشّرط والاستفهام، ووقوع الحذف في جملة الشّرط؛ ســـواء في الشّرط ذاته، أو في الجواب، أو فيهما معاً. وغير ذلك من القضايا الّتـــي تطلّ من هذا الباب.

المبحث الثّاني

الجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة

يقصد الباحث بالجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة، تلك الجملة الّتي تأتي على التّرتيب الأساسيّ المعروف لأسلوب الشّرط؛ والّذي يبدو كما يلي:

أداة الشّرط + فعل الشّرط + جواب الشّرط

وهذا التّرتيب هو المعتبر في هذه الحالة؛ لأنّ أدوات الشّـــرط، في نظر النّحاة، إنّما تكون في صدر الكلام، ولا يعمل فيها ما قبلها[1].

ومن الأمور البدهيّة أن يكون جواب الشّرط تابعاً لفعل الشّـرط؛ لأنّ العلاقة القائمة بين الجملتين -كما بيّنّا- علاقـــة ارتبـــاط وســـبب. ولأجل ذلك تكون الجملة محفوظة الرّتبة.

وردت الجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة في مواضع كثيرة مـن سورة النّساء، حيث جاءت دلالة الشّرط مع الأدوات الآتية:

١/ إنْ	٢/ مَنْ
٣/ إذا	٤/ أمّا
٥/ لولا	٦/ ما
٧/ أينما	٨/ لو

ويرى الباحث أنّ كثرة ورود الأداة لها دلالة في بيان خصائص السّياق النّحويّ للسّورة، للتّعرّف على الواقع الّذي أوجب الشّرط وأملى الجواب.

ويأتي ها هنا تفصيل للجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة، بناء على نـوع الأداة الّتي وردت فيها، من خلال نظر النّحاة لكلّ أداة؛ ومن ثَمَّ يجيء حســاب ترددها في السّياق النّحويّ للسّورة لمعرفة الأنماط التي جاءت على نسقها.

---

(١) انظر المقتضب: ٦٨/٢

○ المطلب الأوّل: الجملة الشّرطيّة مع الأداة (إنْ):

تدعى (إنْ) أم الباب، هكذا سماها إمام النحاة[١]. وتقبل النّحاة من بعده- هذا الوصف بقبول حسن، وزادوا عليه.

قال المبرّد يصف جملة الشّرط: "فحرفها في الأصل (إنْ)، هذه كلّها دواخل عليها لاجتماعها"[٢] مع (إنْ) في الدّلالة والمعنى.

وقال ابن جنّي: "وحرفه المستولي عليه (إنْ) وتشبّه به أسماء وحروف"[٣].

أمّا الجرجانيّ؛ فقد خطا خطوة إلى الإمام، إذ قرّر أنّ "الجزم يكون في المعاني الّتي ليست بواجبة الوجود لما تقدّم من أنّ موضوع المجازاة بإنْ الّتي هي أمّ الباب..."[٤].

وحول ما يلي (إنْ)؛ يجمع النّحاة أنّ (إنْ) لا يليها إلّا فعل.

قال سيبويه: "واعلم أنّه لا ينتصب شيء بعد (إنْ) ولا يرتفع إلّا بفعل، لأنّ (إنْ) من الحروف الّتي يبنى عليها الفعل"[٥].

هذا؛ وقد تنوّعت الجملة الشّرطيّة مع الأداة (إنْ) في السّياق النّحويّ لسورة النّساء. وهذا التّنوّع أتاح لها أن تأتي على ثمانية أنماط، هي:

---

(١) هو سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر. انظر **نزهة الألباء**: ٥٤، **إنباه الرّواة**: ٣٤٦

(٢) **المقتضب**: ٤٦/٢

(٣) **اللّمع**: ٢١٣

(٤) **المقتصد في شرح الإيضاح**، الجرجانيّ، د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، دار الرّشيد للنّشر، ١٩٨٢م: ١١٩/٢

(٥) **الكتاب**: ٢٦٣/١

- **النّمط الأوّل: إن + فعل (ماض) + فعل (مضارع):**

جاء هذا النّمط في موضعين من السّورة، وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾(١).
- ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (٢).

- **النّمط الثّاني: إنْ + فعل (مضارع) + فعل (مضارع):**

وتمثّل هذا النّمط في أربع مواضع من السّورة. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ﴾ (٣).
- ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (٤).
- ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ (٥)
- ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ (٦).

- **النّمط الثّالث: إنْ + فعل (ماض) + فعل (ماض):**

ومن هذا النّمط قوله تعالى:

- ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٧).
- ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ (٨).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٢)
(٢) سورة النّساء: الآية (٤٣)
(٣) سورة النّساء: الآية (٣٥)
(٤) سورة النّساء: الآية (٧٨)
(٥) سورة النّساء: الآية (٧٨)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٣٠)
(٧) سورة النّساء: الآية (١٩)
(٨) سورة النّساء: الآية (٧٢)

- **النّمط الرّابع: إن + فعل (ماض) + فعل (مضارع) منفي:**

تمثّل ذلك في موضع واحد فقط من السّورة؛ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ (١).

- **النّمط الخامس: إن + فعل (مضارع) + فعل (أمر):**

جاء ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ (٢).

- **النّمط السّادس: إنْ + فعل (ماض) + فعل (أمر):**

ويعدّ هذا النّمط هو الأكثر وروداً؛ حيث ورد عشر مرّات. من ذلك قوله تعالى:

- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (٣).
- ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (٤).
- ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ (٥).
- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (٦).

- **النّمط السّابع: إنْ + فعل (ماض) + ما (نافية) + فعل (ماض):**

جاء ذلك في موضع واحد فقط، في قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (٧).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٢٠)
(٢) سورة النّساء: الآية (٩١)
(٣) سورة النّساء: الآية (٣)
(٤) سورة النّساء: الآية (٤)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٦)
(٦) سورة النّساء: الآية (٣٥)
(٧) سورة النّساء: الآية (٩٠)

- **النّمط الثّامن: إنْ + جملة اسميّة + شبه جملة:**

ورد هذا النّمط في موضع واحد فقط؛ في قوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (١).

ويلاحظ في هذا النّمط، أنّه جاء على خلاف الأصل الّذي ينبغي أن تأتي عليه (إنْ)، وهو أنْ لا يليها إلّا فعل. لكن هذا النّمط وهو يأتي على هذا التّرتيب، إنّما وضع هكذا، من حيث تقديم الاسم وتأخير الفعل، عناية واهتمامًا، من الحقّ عزّ وجلّ، لميراث الكلالة.

o المطلب الثّاني: الجملة الشّرطيّة مع الأداة (مَنْ):

تعدّ الأداة (مَنْ) الأكثر شيوعًا بين أدوات الشّرط في سورة النّساء، إذ وردت تسع وعشرين مرّة، على الرّغم من أنّ النّحاة قد ذهبوا إلى أنّ (إنْ) هي أمّ الجزاء. وعلى (إنْ) هذه قعّدوا معنى الشّرط، وأقاموا أحكامه.

يقول الجرجانيّ: "وقد تقع أسماء مواقع (إنْ)، وتلك الأسماء منها ما هي ظروف، ومنها ما هي غير ظروف، فما كان غير ظرف فنحو: ما ومن وأيّهم... واعلم أنّ هذه الأسماء نابت مناب (إنْ) لضرب من الاختصار والتّقريب"(٢).

هذا؛ وتعدّ (مَنْ) ممّا يجازى به من الأسماء غير الظّروف(٣). ومن خصائصها أنّها:

- ١/ أداة شرط للعاقل؛ وفي ذلك يقول ابن السّرّاج: "ومن تكون لما يعقل في الجزاء والاستفهام"(٤). وهي أيضًا تفيد التّعلّق المطلق(٥).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٧٦)

(٢) المقتصد: ١٠٨/٢

(٣) انظر الكتاب: ٥٦/٣، ٦٩، وانظر المقتضب: ٤٧/٢، اللّمع: ٢١٣، الأصول في النّحو: ١٩٥/٢، حروف المعاني: ٥٥

(٤) الأصول في النّحو: ١٩٦/٢، وانظر حروف المعاني: ٥٥

(٥) انظر الكتاب: ٢٢٨/٤، المقتضب: ٦٣/٣، شرح المفصّل: ٤٢/٧، الأزهية: ١٠، معاني الحروف الرّمّانيّ: ١٥٧، مغني اللّبيب: ٣٢٧/١، همع الهوامع: ٣١٦/٤

- ٢/ تفيد الدّلالة على الزّمن المطلق.
- ٣/ تجزم الفعلين في تركيب الجملة الشّرطيّة، إذا كان فعل الشّرط وجوابه فعلين مضارعين.

وهذا التّركيب هو المأخوذ به لدى النّحاة، عندما يأخذهم الحديث إلى (مَنْ) الشّرطيّة. ويقرّر الباحث هنا أنّ كتب النّحو قد أخذت بهذا التّركيب للجملة الشّرطيّة مع الأداة (مَنْ) وهو يبدو هكذا:

مَنْ + فعل (مضارع مجزوم) + فعل (مضارع مجزوم)

لكنّ الباحث، وبعد تحليله للسّياق النّحويّ لسورة النّساء، وجد هذا النّمط من القلّة بمكان، لا سيما إذا نظر إليه من خلال أنماط أخرى جاءت على غير ما وضع النّحاة. وهذا -في حد ذاته- يعدّ من خصائص لغة القرآن الكريم الّتي لا نرى لها مثلاً في لغة البشر.

وقد تنوّعت (مَنْ) في السّياق النّحويّ للسّورة، حيث جاءت على تسعة أنماط؛ بيانها على النّحو الآتي:

- **<u>النّمط الأوّل: مَنْ + جملة اسميّة منسوخة + مضارع</u>**

ومثال لهذا النّمط؛ جاء قوله تعالى:

- ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾(١).
- ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٢).

- **<u>النّمط الثّاني: مَنْ + فعل (ماض) ناقص + ظرف:</u>**

ورد هذا في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٣).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٦)

(٢) سورة النّساء: الآية (٦)

(٣) سورة النّساء: الآية (١٣٤)

- **النّمط الثّالث: مَنْ + فعل (مضارع) + فعل (مضارع):**

وهذا من الأنماط الّتي كثُرت في السّورة إذ جاء منها قوله تعالى:

- ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (١).
- ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ (٢).
- ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ (٣).
- ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (٤).
- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ (٥).
- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (٦).

- **النّمط الرّابع: من + فعل (مضارع) + فعل (ماض):**

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (٧).

- **النّمط الخامس: من + فعل (مضارع) + فعل (مضارع) منفي:**

جاء في قوله تعالى:

- ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (٨).
- ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٩).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٣)
(٢) سورة النّساء: الآية (٨٥)
(٣) سورة النّساء: الآية (٨٥)
(٤) سورة النّساء: الآية (١٢٣)
(٥) سورة النّساء: الآية (١١٥)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٠٠)
(٧) سورة النّساء: الآية (٣٨)
(٨) سورة النّساء: الآية (٥٢)
(٩) سورة النّساء: الآية (٨٨)

- **النّمط السّادس: مَنْ + فعل (مضارع) + فعل (مؤكّد) بقد:**

تمثّل ذلك في قوله تعالى:

- ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (١).
- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٢).
- ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٣).
- ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (٤).

- **النّمط السّابع: مَنْ + فعل (مضارع) + فعل (مضارع) مستقبل:**

كما في قوله تعالى:

- ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ (٥).
- ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (٦).

- **النّمط الثّامن: مَنْ + فعل مضارع + جملة اسميّة:**

جاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ (٧).
- ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ (٨).
- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (٩).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٨٠)
(٢) سورة النّساء: الآية (١١٢)
(٣) سورة النّساء: الآية (١١٦)
(٤) سورة النّساء: الآية (١١٩)
(٥) سورة النّساء: الآية (٣٠)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٧٢)
(٧) سورة النّساء: الآية (٦٩)
(٨) سورة النّساء: الآية (٩٢)
(٩) سورة النّساء: الآية (٩٣)

- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ... فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ (١).

- **النّمط التّاسع: مَنْ + فعل (مضارع) منفي + جار ومجرور:**

مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (٢).

o المطلب الثّالث: الجملة الشّرطيّة مع (إذا):

تحدّث عنها سيبويه بقوله: "وأمّا (إذا) فلما يستقبل من الدّهر، وفيها مجازاة، وهي ظرف"(٣).

ويرى الباحث أنّ أكثر النّحاة لم يبتعدوا عن تعريف سيبويه للأداة (إذا)، من حيث إنّها ظرف، ومن حيث دلالتها؛ لكنّ كثيراً منهم لم يوردها ضمن أدوات الشّرط؛ لأنّهم يرونها -دائماً- "ظرفاً للزّمان المستقبل في معنى الجزاء، ولا بدّ لها من جواب، كقولك: إذا جاءني زيد فَأَكْرِمْهُ، معناه: إذا يجيء"(٤).

وهذا الاتّجاه في (إذا) نجده عند الهرويّ(٥)؛ أمّا ابن هشام؛ فيرى الوجه الثّاني في (إذا)، وهو أنّها: "تكون لغير مفاجأة، فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل متضمّنة معنى الشّرط، وتختصّ بالدّخول على الجملة الفعليّة عكس الجملة الفجائيّة.

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٢٤)

(٢) سورة النّساء: الآية (٢٥)

(٣) **الكتاب:** ٤/٢٣٢

(٤) **الأزهيّة في علم الحروف:** ٢٠٢

(٥) هو علي بن محمّد أبو الحسن الهرويّ، صاحب الأزهيّة في الحروف. وله أيضاً النّخائر في النّحو، كان عالماً بالنّحو، جيّد القياس. انظر. **بغية الوعاة:** ٢/٢٠٥، **معجم الأدباء:** ١٤/٢٤٨، **الدّرر الكامنة:** ٣/١٢٦، **إنباه الرّواة:** ٣/٢٨٨، **معجم المؤلّفين:** ٢/٩٥، **شذرات الذّهب:** ٦/٣

هذا، ولا يمتنع أن تجتمع (إذا) الفجائيّة، وتلك الّتي لغير المفاجأة في سياق نحويّ واحد، فقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (١).

ويمضي ابن هشام فيتحدّث عن الفعل الّذي يلي (إذا)، إذ يرى أنّه يكون ماضيًا كثيرًا ويكون، بقلّة، فعلاً مضارعًا.

ويرى النّحاة أنّ (إذا) يكثر ورودها في مواضع الشّرط الواجب، وهو الشّرط اليقينيّ؛ أيّ الشّرط المقطوع بتحقّقه؛ بخلاف (إنْ) فإنّها تكون في مواضع الشّرط الّذي يحتمل الشّكّ والظّنّ".

وللجرجانيّ في ذلك رأي جامع؛ إذ يقول: "إنّ الجزم يكون في المعاني الّتي ليست بواجبة الوجود لما تقدّم من أنّ موضوع المجازاة بإنْ الّتي هي أمّ الباب، وأصله على أن يكون الفعل المجازى به ممّا يترجّح بين أن يوجد وأن لا يوجد، فأمّا ما كان واجب الوجود فلا يجوز (إنْ) ولا الأسماء الجازمة فيه،... وأمّا (إذا) فيجازى بها الواجب الوجود، كقولك: إذا طلعت الشّمس خرجت، وفيما علم على الجملة أنّه كائن"(٢).

وباستقصاء (إذا) في التّركيب النّحويّ للسّورة، ألفيناها وقد تكرّرت في اثني عشر موضعًا. وهي في هذه المواضع كلّها قد دخلت على الفعل الماضي، ولم تدخل على الفعل المضارع.

ويرى الباحث أنّ مقالة ابن هشام: "ويكون الفعل بعدها ماضيًا كثيرًا ومضارعا دون ذلك"(٣)، لم تكن قد استقصت حالة (إذا) مع الفعل الماضي والمضارع، وصوّرت تلك الحالة بدقّة.

---

(١) سورة الرّوم: الآية (٢٥)

(٢) المقتصد: ١١١٩/٢

(٣) مغنى اللّبيب: ٩٧

ويرى الباحث أن الأصل الّذي كان ينبغي أن تكون عليه حالة (إذا)؛ مع الأفعال، هو أنّ الفعل بعدها يكون ماضيًا كثيرًا، وينـدر أن يكون مضارعًا.

وسيورد الباحث أنماط التّراكيب اللّغويّة الّتي وردت عليها الأداة (إذا)؛ بناء على جواب الشّرط؛ لأنّ فعل الشّرط قد أصبح محلّ اتّفاق، وهو الفعل الماضي. وذلك على النّحو الآتي:

- **النّمط الأوّل: إذا + فعل (ماض) + فعل (أمر):**

جاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ (١).
- ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ (٢).
- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٣).
- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ (٤).
- ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (٥).

- **النّمط الثّاني: إذا + فعل (ماض) + فعل (ماض):**

وتمثّل هذا النّمط في قوله تعالى:

- ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (٦).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٦)
(٢) سورة النّساء: الآية (٨)
(٣) سورة النّساء: الآية (٨٦)
(٤) سورة النّساء: الآية (١٠٣)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٠٣)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٨)

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (١).
- ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ (٢).
- ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (٣).

- **النّمط الثّالث: إذا + فعل (ماض) + فعل (مضارع) مقترن بلام الأمر:**

حيث جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ﴾ (٤).

- **النّمط الرّابع: إذا + فعل (ماض) + مصدر مؤوّل:**

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٥)

ويلاحظ الباحث أنّ ستّة مواضع من (إذا) في الجملة الشّرطيّة، كان الجواب فيها جملة طلبيّة؛ لذا جاء مقترناً بـ (الفاء)(٦)، فضلاً عن أنّ هذا الجواب جاء مقترناً بلام الأمر. وهذه الضّمائم، من شأنها أن تقوّى المعنى الّذي جاء السّياق القرآني حاملاً له.

o المطلب الرّابع: الجملة الشّرطيّة مع (أمّا):

تحدّث سيبويه عن هذه الأداة؛ فقال فيها: "وأمّا (أمّا) ففيها معنى الجزاء، كأنّه يقول: عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق. ألا ترى أنّ الفاء

---

(١) سورة النّساء: الآية (٦١)
(٢) سورة النّساء: الآية (٨١)
(٣) سورة النّساء: الآية (٨٣)
(٤) سورة النّساء: الآية (١٠٢)
(٥) سورة النّساء: الآية (٥٨)
(٦) انظر شذور الذّهب: ٣٤١

لازمة لها أبدا"[١]. ويبيّن كذلك موقعها في صدر الكلام، فيقول: "لأنّ أمّـا وإذا يقطع بهما الكلام، وهما من حروف الابتداء يصرفان الكلام إلى الابتـداء إلّا أن يدخل عليهما ما ينصب"[٢].

وأمّا عن دلالتها؛ فيقول المبرّد: "أمّا المفتوحة فإنّ فيها معنى المجازاة، وذلك قولك أمّا زيد فله درهم، وأمّا زيد فأعطه درهماً. فالتّقدير: مهما يكـن من شيء فأعط زيدا درهما، فلزمت الفاء الجواب، لمـا فيـه مـن معنـى الجزاء"[٣].

وللمبرّد نظر في الّذي يلي (أمّا)؛ فيرى أنّ (أمّا) لا يليها الفعل. وتعليله لذلك، هو أنّ (أمّا) "في معنى مهما يكن من شيء، فهذا لا يتّصل بـه فعـل، وإنّما حدّ الفعل أن يكون بعد الفاء، ولكنّك تقدّر الاسم ليسدّ مسـدّ المحـذوف الّذي هذا معناه، ويعمل فيه ما بعده"[٤].

وبناء على هذه المحدّدات، جاءت أمّا في جملة الشّرط في سورة النّساء بالنّمط الآتي:

أمّا + الّذي + صلة الموصول + فعل (مضارع) مقترن بالفاء:

وقد جاء هذا النّمط في قوله تعالى:

- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [٥].
- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٦].
- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [٧].

---

(١) الكتاب: ٢٣٥/٤

(٢) المصدر نفسه: ٩٥/١

(٣) المقتضب: ٢٧/٣

(٤) المصدر نفسه: ٢٧/٣، انظر رصف المباني: ١٨٢ ، حروف المعاني: ١٢٩، شرح ابن عقيل: ٥٢/٢

(٥) سورة النّساء: الآية (١٧٣)

(٦) سورة النّساء: الآية (١٧٣)

(٧) سورة النّساء: الآية (١٧٥)

ونرى أنّ (أمّا) في المواضع الثّلاثة قد جاءت حرف تفصيل، وهي قائمة في ذات المواضع مقام أداة الشّرط وفعل الشّرط، لذا جاز فيها أن تكون بمعنى "مهما يك من شيء"، وجاء المذكور بعدها جواباً للشّرط، لذا لزم اقترانه بالفاء.

o المطلب الخامس: الجملة الشّرطيّة مع (لولا):

تحدّث ابن عقيل عن استعمالات (لولا)، فذكر أنّ لها استعمالين:

- **الأوّل**: أن تكون دالّة على امتناع الشّيء لوجود غيره. وتشاركها في هذا العمل (لو ما). وعلى هذا يترتّب التزامها بالابتداء؛ فلا يدخلان إلّا على المبتدأ، ويترتّب على ذلك أن يكون الخبر بعدها محذوفاً وجوبًا. ولا بدّ لها من جواب، فإن كان الجواب مثبتاً تمّ اقترانه باللّام (غالبًا)، وإن كان منفيّاً تجرّد عنها (غالبًا)، نحو "لولا زيد لأكرمتك، لولا زيد ما جاء عمرو".
- **الثّاني**: أن تكون فيها دلالة على التّحضيض والتّوبيخ، ويختصّان بالفعل. نحو: (لولا ضربت زيدًا)؛ فإن كان قصدك التّوبيخ كان الفعل ماضيًا، وإن قصدت الحثّ على الفعل، كان مستقبلاً بمنزلة فعل الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (١). أي: لينفر.

وهذا الحديث هو تلخيص لما ذهب إليه سيبويه(٢)، والمبرّد(٣). ونلمسه كذلك في تلخيص أقوال النّحاة في (لولا) الّذي جاء به المالقيّ، وهو قوله: "والصّحيح أنّ تفسيرها بحسب الجمل الّتي تدخل عليها، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب وإن كانتا منفيّتين فهي

---

(١) سورة التّوبة: الآية (١٢٢)

(٢) انظر الكتاب: ٤/٢٣٥، و ٣/١٣٩

(٣) انظر المقتضب: ٣/٧٦

حرف وجوب لامتناع. وإن كانت موجبة ومنفيّة فهي حرف وجوب لوجوب، وكانت منفيّة وموجبة فهي حرف امتناع لامتناع"[١].

وهذا الكلام ينطبق على دلالة (لولا) الأولى، أمّا الدّلالة الثّانية، وهي كونها تفيد التّحضيض والتّوبيخ؛ فلها تفصيل عند ابن هشام بسطه في (مغنى اللّبيب)[٢]. ولم يورده الباحث هنا مخافة الإطالة. وأكثر النّحاة على أنّ الخبر معها إنّما يكون كونًا مطلقًا محذوفًا.

وهذا ما وجده الباحث في السّياق النّحويّ لسورة النّساء؛ إذ جاء الخبر على ذلك النّحو. وكانت (لولا) قد وردت فيها على الدّلالتين اللّتين مضى ذكرهما، وبيان ذلك على النّحو الآتي:

- جاءت (لولا) في السّورة دالّة على امتناع الشّيء لوجود غيره؛ وذلك في قوله تعالى:
  - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٣].
  - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ﴾ [٤].
- وجاءت في موضع واحد بدلالة التحضيض، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا ... ﴾ [٥].

o المطلب السّادس: الجملة الشّرطيّة مع الأداة (ما):

تعدّ هذه الأداة عند سيبويه من الأسماء غير الظّروف الّتي يجازى بها[٦]. وبهذه الدّلالة أيضًا نجدها عند المبرّد؛ حيث اشترط في عملها للجزاء أن يكون لها عائد يعود إليها.

---

(١) رصف المباني: ٣٦٢

(٢) انظر مغنى اللّبيب: ٣٠٢/١

(٣) سورة النّساء: الآية (٨٣)

(٤) سورة النّساء: الآية (١١٣)

(٥) سورة النّساء: الآية (٧٧)

(٦) انظر الكتاب: ٥٦/٣

وفي ذلك يقول: "فإن جعلت (ما) وجعلتها استفهاماً أو جـــزاء أو فـــي معنى (الّذي) لم يكن من راجع إليها. فأمّا الجزاء فقولك: ما تركـــب اركـــب، والأحسن ما تركب اركبه - نصبت ما تركب، وأضمرت هاء في تركب. ولـو قلت ما تركب اركب لجاز، ولا يكون ذلك إلّا على إرادة الهاء، لأنّه معلّق بما قبله، وذلك في المعنى موجود"(١).

و (ما) كذلك؛ اسم شرط جازم يدلّ على غير العاقل. قال الجرجـــانيّ في ذلك: "وكذا ما تفعل افعل، لأنّ (ما) مبهم يقع على كلّ شيء فلمّـــا قصـــد الشّياع أتي به وجعل نائباً عن حرف الشّرط فجزم ما بعده كما تجزم إذا قلت: "إن تصنع شيئا اصنع"(٢).

ولم ترد (ما) في السّياق النّحويّ للسّورة إلّا في موضعين فقط، وعلـــى نمط واحد هو:

ما + فعل (ماض) + جار ومجرور:

وقد تمثّل ذلك في قوله تعالى:

- ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (٣).

- ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (٤).

وهناك نمط شذّ عن القاعدة، لكنّ الباحث أدرجه تحت (ما) الشّـــرطيّة، وهو التّركيب (كلّ ما) والّذي جاء في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ (٥).

---

(١) **المقتضب**: ٦١/٢، وانظر **معاني الحروف**: ٩٦، **وحروف المعاني**: ٥٣

(٢) **المقتصد**: ١١٠٨/٢

(٣) سورة النّساء: الآية (٧٩)

(٤) سورة النّساء: الآية (٧٩)

(٥) سورة النّساء: الآية (٩١)

ويرى الباحث أنّ هذه الآية تتضمّن معنى الشّرط، والجواب قد جـــاء فعلاً ماضياً. كمـــا وأنّ هذه الآية تشابه في سياقها النّحويّ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (١)، مع ملاحظة اختلاف الرّسم الإملائي بيـــن (كلّ ما) و (كلّما) في الآيتين.

o المطلب السّابع: الجملة الشّرطيّة: مع الأداة (أينما):

تحدّث سيبويه عن هذه الأداة، وكانت إشارته إليها عابرة، وذلك فـــي قوله: "واعلم أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدّم الأسماء فيها قبل الأفعال، وذلك لأنّهم شبّهوها بما يجزم ممّا ذكرنا إلّا أنّ حروف الجزاء قد جاز ذلك فيها فـي الشّعر لأنّ حروف الجزاء يدخلها فعل ويفعل(٢). وقد أعطى مثالاً لذلك مـــن الشّعر، وهو بيت كعب بن جعيل:

صَعْدَةٌ نَابِتَةٌ فِي حَائِر * أَيْنَما الرّيحُ تُمِيلُهَا تَمِلْ(٣)

وقد وردت الأداة (أينما) في موضع واحد من السياق النحوي للسّـورة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ (٤)..

ويرى الباحث قوة دلالة (أينما) على المكان في هذا الأمـــر القطعـــيّ، وهو (حتميّة الموت)؛ آخذين في الاعتبار قراءة هذه الآية مع قولـــه تعـــالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية (٦٤)

(٢) **الكتاب:** ١١٢/٣، وانظر كذلك **الإنصاف:** ٦١٨/٢

(٣) البيت في كتاب سيبويه: ١١٣/١. والحائر: القرارة من الأرض يستقر فيها السيل فيتحير مـــاؤه، أيّ يستدير ولا يجري قدما

(٤) سورة النساء: الآية (٧٨)

(٥) سورة لقمان: الآية (٣٤)

فمهما بذل الإنسان من جهد ليخطئه الموت، وذلك باتّخاذ الصّروح والحصون والبروج المشيّدة؛ يبقى العجز قائماً -مع كلّ هذا- لأنّه لا يدري أين يكون مكان موته؛ فيتّخذ تلك التّدابير.

o المطلب الثّامن: الجملة الشّرطيّة مع الأداة (لو):

تعدّ هذه الأداة محلّ اهتمام سيبويه، والنّحاة الّذين جاءوا من بعده. أمّا سيبويه؛ فقد ذكرها في مواضع كثيرة من كتابه، فقد ورد قوله عنها: "فأمّا (لو) فلِمَا كان سيقع لوقوع غيره"(١).

وأمّا الآخرون؛ فتُعَدّ (لو) عند الزّجّاج(٢) والرّمّانيّ(٣) والمالقيّ(٤) وابن هشام(٥) وابن مالك(٦) أداة شرط غير جازمة؛ تدلّ على الزّمن الماضي.

وممّا شاع عند أكثر النّحاة أنّها "حرف امتناع لامتناع". وقد توقّف ابن هشام عند هذا الرّأي كثيراً، وناقشه، وأظهر فساده، في معرض تناوله لدلالات (لو)، فقال: "والثّاني: أنّها تفيد امتناع الشّروط وامتناع الجواب جميعاً، وهذا هو القول الجاري على ألسنة المُعربين، ونصّ عليه جماعة من النّحويين، وهو باطل بمواضع كثيرة"(٧).

هذا؛ وبعد أن خلص ابن هشام من عرض معاني (لو)؛ ذكر وجه فساد هذا الرّأي، بقوله: "وقد اتّضح أنّ أَفْسَد تفسير لـ (لو) قول مَنْ قال: حرف امتناع لامتناع، وأنّ العبارة الجيّدة قول سيبويه رحمه الله: حرف لما كان

---

(١) الكتاب: ٤/٢٢٤

(٢) انظر حروف المعاني: ٣

(٣) المصدر السّابق: ١٧٤

(٤) انظر رصف المباني: ٣٥٨

(٥) انظر مغني اللّبيب: ١/٢٨٤

(٦) انظر شرح ابن عقيل: ٢/٣٨٥ وما بعدها

(٧) المصدر نفسه: ١/٢٨٤

سيقع لوقوع غيره، وقول ابن مالك: حرف يدلّ على انتفاء تالٍ، ويلزم لثبوته ثبوت تاليه"[١].

وقد أخذ ابن هشام يُفَنّد تلك الآراء، وهو يدعم رأيه بشواهد من القرآن الكريم. ومن خلالها أبان أنّ (لو) لا يقتصر على أنّها حرف امتناع لامتناع.

وهذا ما بدا لنا عند استعراض المواطن الّتي وردت فيها الأداة (لو) في سورة النّساء. فقد تعدّت هذا المعنى إلى معاني أخرى تُفهم من السّياق النّحويّ.

وردت (لو) وجملتها محفوظة الرّتبة في ستّة مواضع من السّورة؛ وذلك بالأنماط الآتية:

- **النّمط الأوّل: لو + جملة (أنّ) + فعل (ماض):**

تمثّل ذلك في موضعين؛ وهما قوله تعالى:

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ...﴾ [٢].
- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [٣].

وأجاز النّحاة هذا التّركيب الّذي جاءت عليه (لو)، وذلك بورود (أنّ) وجملتها بعد (لو)، وأن يكون جوابها مقترنًا باللّام، وفي ذلك يقول المبرّد: "و (لو) لا تقع إلّا على فعل، فإن قدّمت الاسم قبل الفعل فيها كان على فعل مضمر"[٤].

وعن إعراب جملة (أنّ) هذه؛ يرى سيبويه أنّها في محلّ رفع مبتدأ خبره محذوف[٥]. وذهب آخرون إلى أنّ (لو)، على هذا السّياق، لا تحتاج إلى

---

(١) **مغني اللّبيب**: ٢٨٧/١، وانظر **التّسهيل**: ٢٤٠

(٢) سورة النّساء: الآية (٤٦)

(٣) سورة النّساء: الآية (٦٤)

(٤) **المقتضب**: ٧٧/٣، وانظر **المفصّل**: ٣٢٣، **ومعاني الحروف**: ١٠٢

(٥) **الكتاب**: ٧٧/٣

خبر للعلم به[١]. لكنّ أكثر النّحاة يقدّر جملة (أنّ) على أنّها فاعل لفعل مقـــدّر تقديره (لو ثبت أنّ)؛ كما في قولك: "لو زرتني لأخبرني أهل بيتي". ويكـــون التّقدير: "لو ثبت أنّك زرتني لأخبرني أهل بيتي".

- **النّمط الثّاني: لو + فعل (ماض) + فعل (ماض):**

وجاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [٢].
- ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ [٣].

- **النّمط الثّالث: الفعل (ودّ) + لو + فعل (ماض/ مضارع) + فعل:**

جاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [٤].
- ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [٥].

---

(١) انظر رصف المباني: ٣٥٩

(٢) سورة النّساء: الآية (٨٢)

(٣) سورة النّساء: الآية (٨٣)

(٤) سورة النّساء: الآية (٨٩)

(٥) سورة النّساء: الآية (١٠٢)

المبحث الثّالث

الجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة

يعني الباحث بالجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة تلك الجملة الّتي يأتي فيها ترتيب أداة الشّرط، وفعله، وجوابه على خلاف التّرتيب الأساسيّ المعروف، والّذي أشرنا إليه عند حديثنا عن الجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة.

وردت الجملة غير المحفوظة الرّتبة بقلّة في السّياق النّحويّ لسورة النّساء؛ وذلك مع الأدوات (إذا) و (لو) و (لولا).

ويرى الباحث أنّ هذه القلة أملتها الخصائص الّتي قام عليها السّياق النّحويّ للسّورة. والّذي جاء هكذا بالنّظر إلى الموضوعات الّتي عملت السّورة على معالجتها.

وبناء على هذا، فإنّ الجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة قد وردت في ستّة مواضع من السّورة، بيانها كالآتي:

○ المطلب الأوّل: الجملة الشّرطيّة مع الأداة (إذا):

وردت الجملة الشّرطيّة غير محفوظة الرّتبة مع الأداة (إذا) في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (١).

نرى في هذه الآية ورود الأداة (إذا) في موضعها، ثم تلاها فعل الشّرط (أحصن)، ثم حديث فُصِلَ بجملة أخرى "فإن أتين بفاحشة"، ثم جاء جواب الجملة الأولى "فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب".

---

(١) سورة النّساء: الآية (٢٥)

وصارت الجملة بهذا ممتدّة. لأنّ المقصد هو أن يترتّب العذاب على إتيانهنّ الفاحشة بعد الإحصان.

هذا، ومن بديع لغة القرآن الكريم أنّ جواب الشّرط في الآية الكريمة الّتي مضت؛ قد جاء وافياً بجملتي الشّرط المتقدّمتين. كأنّما يريد الشّارع الحكيم أن يقول: "فإنْ أحصنّ فإنْ أتين بفاحشة فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب"، ويقول: "فإنْ أتين بفاحشة فعليهنّ مثل ما على المحصنات من العذاب".

o المطلب الثّاني: الجملة الشّرطيّة مع الأداة (لو):

وردت الجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة مع (لو) في أربعة مواضع، هي في قوله تعالى:

- ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ (١).
- ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (٢).
- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (٣).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (٤).

ولنا عودة إلى هذه الآيات عندما يجيء ذلك عند الحديث عن ظاهرة الحذف في الجملة الشّرطيّة. ومكانه ضمن القضايا الّتي تكون في الجملة الشّرطيّة.

---

(١) سورة النّساء: الآية (٣٩)

(٢) سورة النّساء: الآية (٤٢)

(٣) سورة النّساء: الآية (٧٨)

(٤) سورة النّساء: الآية (١٣٥)

o المطلب الثّالث: الجملة الشّرطيّة مع الأداة (لولا):

وردت الجملة الشرطية غير المحفوظة الرتبة مع الأداة (لـــولا) فـــي موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ (١).

وهذه الآية سيتعرّض لها الباحث أيضًا عندما يجيء الحديث عن الحذف في الجملة الشّرطيّة.

---

(١) سورة النّساء: الآية (٧٧)

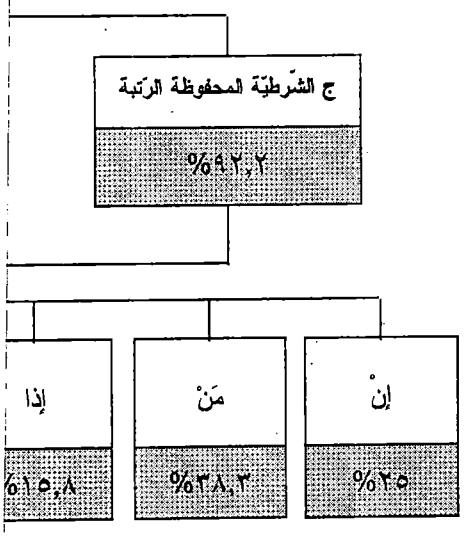

مصـــــــــــوّر تخطيـــط

بالفاء؟. هذه المواضع ثمانية. ويتحقق ذلك إذا كان الجواب.

- ١/ جملة اسميّة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.(١)
- ٢/ جملة طلبيّة، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢).
- ٣/ مبدوء بفعل جامد، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ (٣).
- ٤/ مبدوء بـ (قد)، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (٤).
- ٥/ مبدوء بالسّين، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾(٥)
- ٦/ مبدوء بسوف، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٦).
- ٧/ مبدوء بـ (لن)، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ (٧).
- ٨/ مبدوء بـ (ما)، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ (٨)

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٧)

(٢) سورة آل عمران: الآية (٣١)

(٣) سورة الكهف: الآية (٣٩) ، (٤٠)

(٤) سورة يوسف: الآية (٧٧)

(٥) سورة الطّلاق: الآية (٦)

(٦) سورة التّوبة: الآية (٢٨)

(٧) سورة آل عمران: الآية (١١٥)

(٨) سورة يونس: الآية (٧٢)

أمّا في السّياق النّحويّ لسورة النّساء؛ فقد جاء جـــواب الشّـــرط مقتـــرناً بالفـــاء مـــع الأدوات: _(إنْ) و (مَنْ) و (إذا) و (أمّا) و (ما) و (لو) على تفاوت بينها؛ ونلحظ ذلك في قوله تعالى:

- ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (١).
- ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢).
- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (٣).
- ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (٤).
- ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (٥).
- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٦).
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (٧).
- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. (٨)

ويرى الباحث أنّ أجوبة الشّرط قد جاءت كلّها مقترنـــة بالفاء؛ وفـــق المواضع الّتي أشـــار إليها. أمّا قوله تعـــالى:

---

(١) سورة النّساء: الآية (٦)
(٢) سورة النّساء: الآية (١٩)
(٣) سورة النّساء: الآية (٩٣)
(٤) سورة النّساء: الآية (١١٩)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٧٢)
(٦) سورة النّساء: الآية (٨٦)
(٧) سورة النّساء: الآية (١٧٥)
(٨) سورة النّساء: الآية (٩)

﴿مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [١]؛ فنلحظ فيه اقتران الجواب (من الله) بالفاء، وهو شبه جملة. ولم ترد شبه الجملة ضمن المواضع الّتي يكون معها الجواب كذلك؛ لتبقى هذه الحالة الّتي جاءت عليها الآية من خصائص لغة القرآن الكريم.

ونخرج ممّا سبق بأنّ جواب الشّرط إذا لم يصلح أن يكون شرطاً؛ وجب اقترانه بالفاء. وهذه الفاء زائدة، جيء بها للرّبط المحض، الدّالّ على التّعليل.

○ المطلب الثّاني: توالي شرطين أو أكثر:

يصحّ في الكلام العربيّ أن تتوالى أداتان أو أكثر في التّركيب النّحويّ لغرض يفرضه السّياق، وذلك بغير اتّصال مباشر بين الجمل الشّرطيّة الّتي يجيء بها هذا التّوالي.

وبناء على هذا، ينبغي أن تكون لكلّ أداة جملتها الفعليّة الّتي تليها مباشرة، وتعمل على الفصل بينها وبين الأداة الّتي تأتي بعدها في هذا التّرتيب الخاصّ.

ويرى عبّاس حسن في (النّحو الوافي)[٢] أنّ ذلك يجوز؛ إذ تحتاج كلّ أداة في هذا السّياق إلى جملة جواب، وذلك بناء على الأحكام الآتية:

- ١/ إنْ كان التّوالي بغير عطف؛ فالجواب للأداة الأولى وحدها، ما لم تقم قرينة تُعيّن ذلك؛ أمّا باقي الأدوات فجوابه محذوف لدلالة جواب الأوّل عليه. نحو قولنا: "مَنْ يطع الله ويلتزم أوامره ينل رضاه". إذ التّقدير: مَنْ يطع الله...، مَنْ يلتزم أوامر الله... ينل رضاه.

---

(١) سورة النّساء: الآية (٧٩)

(٢) النّحو الوافي: ٤/٤٨٩

- ٢/ إنْ كان التّوالي بعطف الواو فالجواب لهما، لأنّ الواو للجمع. من يحجم عن نداء الخير، ومن ينأَ عن داعي المروءة.
- ٣/ إنْ كان التّوالي بعطف (أو) فالجواب لإحداهما. وجواب الأخرى محذوف يدلّ عليه المذكور. نحو قولنا: "مَنْ يُكْبرهُ النّاس لعلمه، أو مَنْ يرفعوه لسموّ خلقه يَعْشِ بينهم سعيداً".
- ٤/ إنْ كان التّوالي بعطف (الفاء) فالجواب للثّانية، لأنّ الفاء تفيد التّرتيب. والثّانية وجوابها جواب للأولى، نحو: "إنْ تمارس عملاً فإنْ تُخلص فيه يحالفك الفوز والتّوفيق".

ونجد هذا التّوالي قد حدث بقلّة في سورة النّساء؛ ومع ذلك فمجيئه على هذا النّحو؛ يؤيّد صحة وقوع هذا التّوالي بالأحكام الّتي سبقت. ومن أمثلة وقوعه في سورة النّساء، قوله تعالى:

- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١). إذ التّقدير: (ومَنْ يعمل سوءاً ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)، (ومن يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً).
- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٢). والتقدير: (من يكسب خطيئة أو إثما فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) و (من يرم بهذا الخطأ أو الإثم بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا).
- وقوله جل وعلا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (٣).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١١٠)

(٢) سورة النّساء: الآية (١١٢)

(٣) سورة النّساء: الآية (٧٨)

ففي هذه الآية أمراً عجباً؛ يتولّى الباحث بيانه في النّقـــاط الآتية:

- ١/ توسّط جواب الشّرط بين الجملتين، وإنْ كانت الجملـــة الأولى قد استوفت به جوابها.
- ٢/ جملـــة الشّرط أتت مضـــارعيّة مـــع الأداة (أينمـــا) وما ضوية مع الأداة (لو). كأنما يريد أن يقول: "أينمـــا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم قبلا في بروج مشيدة".
- ٣/ حذف جواب الجملة الثّانية المصدّرة بـــ (لو) لاكتفائـــها بجواب الأولى.

وقد حدث في هذه الآية توالي أداتين هما: (أينما) و (لـــو)؛ لأنّ العطف كان (بالواو) الّتي تفيد الجمـــــع، فكـــان الجـــواب للجملتين معاً. إذ التّقدير: "أينما تكونوا يدرككّم الموت ولو كنتـــم في بروج مشيّدة يدرككّم الموت" أو "أينما تكونوا ولو كنتم فـــي بروج مشيّدة يدرككّم الموت".

❁ المطلب الثّالث: وقوع الحذف في الجملة الشّرطيّة:

ذكر الباحث -في غير هذا الموضع- أنّ التّرتيب الأساسيّ المعـــروف في الجملة الشّرطيّة، هو أن تكون الأداة في صدارة الكلام، تأتي بعدها جملـــة الشّرط؛ ثم جوابه. لكنّ هذا الوضع ليس كذلك في جميع الأحوال، إذ ورد فـــي القرآن الكريم ما يخالف هذا التّرتيب.

وقد يترتّب على ذلك حذف جواب الشّرط لدلالة السّياق عليه، وربّمـــا حذف فعل الشّرط أيضاً.

فقد جاء الحذف في الشّعر العربيّ؛ وهو كثير كقول الشّاعر[1]:

---

(١) البيت من شواهد: سيبويه: ١/١٩٥، والإنصاف: ١/٧٢، والمقرّب: ١/٢٧٦، والمغنـــى: ٢/١٧٥، وشرح شذور الذّهب: ٣٠٧، وشرح التّصريح: ٢/٢٥٢، والأشمونيّ: ٤/٢٥

فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفْءٍ * وَإِلَّا يَعْلُ مِفْرَقَكَ الْحُسَامُ

حيث جاء الاستشهاد بهذا البيت على حذف الشّرط، وتعويض (لا) منه. والأصل: "وإلّا تطلّقها يعل مفرقك الحسام". ومثله البيت الذي يقرأ:

قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلْمَى وَإِنْ

كَانَ فَقِيرًا مُعْدَمًا قَالَتْ وَإِنْ(١)

حيث وقع الاستشهاد به على حذف الشّرط والجزاء بعد (إنْ) لأنّها أمّ الباب، والتّقدير: وإن كان كذلك رضيته أيضًا.

أمّا في التّركيب النّحويّ لسورة النّساء؛ فقد وقع الحذف مع الأداة (لو) والأداة (لولا) بالبيان التّالي:

- **وقوع الحذف مع الأداة (لو):**

جاء ذلك في أربعة مواضع:

١/ في قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾(٢).

ففي الآية ترى (لو) أداة الشّرط، و (آمنوا) فعل الشّرط، إلاّ أنّ الجواب محذوف، والتّقدير: فماذا يضرّهم ذلك. وهذا البناء "تركيب متداول تقول للمنتقم: ما ضرّك لو عفوت؟ وقد علم أنّه لا مضرّة ولا مرزأة في العفو والبرّ، ولكنّه لمحض التّوبيخ والذّمّ"(٣).

---

(١) البيت في: **الخزانة**: ٦٣٠/٣، **والمغنى**: ١٧٦/٢، **شواهد المغنى**: ٩٣٦، **والأشمونيّ**: ٣٣/١، **والمقرّب**: ٢٧٧/١، **والدّرر اللّوامع**: ٨٨/٥

(٢) سورة النّساء: الآية (٣٩)

(٣) **إعراب القرآن وبيانه**، محيي الدّين الدّرويش، ط٣، اليمامة ودار ابن كثير للطّباعة والنّشر والتّوزيع، وزارة الإرشاد للشّئون الاجتماعيّة، حمص، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ٢١٨/٢-٢١٩

٢/ وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (١).

ففي هذه الآية: (لو) أداة الشّرط، و (تُسوّى) فعله، والجواب محذوف، ويقدّر بقولنا: (لكان خيراً لهم) من أن يكتموا الله الحديث عن حالهم ومآلهم.

٣/ في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (٢).

وقد ورد الحديث عن هذه الآية عندما تطرّقْنا لتوالي شرطين أو أكثر. وهنا ننظرها تحت مسمّى "وقوع الحذف في الجملة الشّرطيّة"، حيث نرى الحذف قد وقع في جواب الشّرط من الجملة الثّانية "ولو كنتم في بروج مشيّدة" يدرككّم الموت.

٤/ وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (٣).

ففي هذه الآية جاءت (لو) أداة شرط، وفعل الشّرط يقدّر بقولنا (لو كانت الشّهادة على أنفسكم)؛ أمّا الجواب فمحذوف، وتقديره: (فلا تحجموا عن أداء الشّهادة).

- **<u>وقوع الحذف مع الأداة (لولا):</u>**

يقع الحذف في جملة الشّرط الّتي بها الأداة (لولا) وأكثر ما يكون هذا المحذوف هو الخبر. فممّا جاء في السّورة وتحقّق فيه ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤)، والتّقدير: لولا فضل الله عليكم ورحمته (موجود/ موجودان) لاتّبعتم الشّيطان. ويمكن أن

---

(١) سورة النّساء: الآية (٤٢)

(٢) سورة النّساء: الآية (٧٨)

(٣) سورة النّساء: الآية (١٣٥)

(٤) سورة النّساء: الآية (٨٣)

نقدر ذات التقدير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ﴾ (١). ويرى أن لهذا الحذف دور في تقوية المعنى المراد من الآية.

ومن كل ما تقدّم نخلص إلى أنّ الحذف يقع في جملة الشّرط، فقد يحذف الفعل، أو الجواب، أو كلاهما معًا، وتبقى الأداة وحدها، كما رأينا ذلك في الأداة (إنْ)، ومدار ذلك كلّه أن يستقيم المعنى بدون المحذوف؛ إن دلّ على المعنى دليل مُشْعِرٌ به.

o المطلب الرّابع: اجتماع الشّرط والقسم:

الشّرط والقسم كلاهما يستدعِيان جوابًا خاصًّا بكلّ واحد منهما وجواب أحدهما يغني عن الآخر، لأنّ في اجتماع الجوابين تكرير لا طائل منه، ولا داعي له.

وأكثر النّحاة يرون أنّه عند اجتماع الشّرط والقسم؛ فإنّ الجواب يكون للسّابق منهما، ويجب في هذه الحالة أن يكون فعل الشّرط ماضيًا.

ويكون الجواب للقسم إذا جاء الشّرط معترضًا بين القسم وجوابه، لأنّ المعترض، عادة ما يكون في حكم العدم، لذا يترتّب على ذلك إلغاء جوابه. ويلزم أن يكون فعل الشّرط ماضيًا لفظًا أو معنى حتّى لا يظهر لحرف الشّرط فيه عمل، وتسمّى اللّام الدّاخلة على (إن) اللّام الموطّئة للقسم(٢).

وقد أجاز ابن مالك أن يكون الجواب للشّرط في حالة الشّرط الامتناعيّ رغم تقدّم القسم(٣).

ويلخّص الباحث آراء النّحاة حيال هذه القضيّة في نقاط رئيسة، هي:

---

(١) سورة النّساء: الآية (١١٣)

(٢) انظر شرح الكافية: ٣٣٩/٢، معاني الحروف: ٥٤

(٣) انظر الكتاب: ١٠٨/٣، تسهيل الفوائد: ٢٣٩، شرح الكافية: ٣٩٤/٢

- ١/ يكون الجواب للقسم، ويحذف جواب الشّرط، في حالة تقدّم القسم ويقوم جواب القسم مقامه[١].
- ٢/ جعل الجواب للشّرط، وإنْ تقدّم القسم على الشّرط، ويكون جواب القسم محذوفاً لدلالة جواب الشّرط عليه، وقيامه مقامه[٢].
- ٣/ إذا اجتمع القسم مع الشّرط الامتناعي، وهو الشّرط الّذي تكون أداته (لو، لولا)؛ فيكون الجواب حينئذ للشّرط، وإنْ تأخر، ويحذف جواب القسم[٣].

هذا، وقد اجتمع الشّرط والقسم في التّركيب النّحويّ لسورة النّساء في موضع واحد، كان تركيبه على النّحو الآتي:

اللّام الموطئة للقسم + إن + الشّرط (جملة فعليّة فعلها ماض) + الجواب (اللّام + جملة فعليّة فعلها مضارع مؤكّد بالنّون):

وتمثّل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٤].

ومن الآية يتّضح لنا أنّ اجتماع اللّامين ونون التّوكيد فيها؛ يزيد من توكيد الجملة الشّرطيّة. وهذا ما نوّه إليه المالقيّ بقوله: "توطئة لجواب القسم وتوكيداً نيابة عنه في ذلك، وذلك إذا تقدّم الشّرط الّذي هو إنّ الخفيفة المكسورة"[٥].

من كلّ ما تقدّم نخلص إلى جواز اجتماع القسم الشّرط، لأنّ "القسم من الأغراض التّوكيديّة الّذي يؤتى من أجلها في التّراكيب

---

(١) انظر شرح الرضي على الكافية: ٤/٤٥٥، همع الهوامع: ٤/٣٥٠

(٢) انظر أوضح المسالك: ٤/٢١٩

(٣) انظر الكتاب: ١/٤٥٥

(٤) سورة النساء: الآية (٧٣)

(٥) رصف المباني: ٢٤٢

اللّغوية، والتّعبير الشّرطيّ نظراً لأنّه في معظم حالاته يقع في المستقبل، فإنّه يحتاج إلى نوع من التّوكيد"[١].

وهذا التّوكيد أكثر ما يكون ممثّلاً في القسم؛ خاصّة إذا كان المخاطب شاكّاً أو منكراً بوقوع الجواب في المستقبل، ولأجل هذا نرى اجتماع الشّرط والقسم في الجملة الشّرطيّة.

لأنّ هذا الاجتماع يعمل على تقوية الجملة؛ الأمر الّذي يساعد في إزالة الشّكّ والتّردّد من السّامع للخبر، فيكون بالتّالي، في مستوى من الفهم مع الشّخص الّذي ألقى إليه الخبر.

---

(١) **النّحو الوصفيّ من خلال القرآن الكريم**، د. محمّد صلاح الدّين مصطفى، مؤسّسة علي جرّاح الصّباح، الكويت: ١/٢٠٠